مستقبل الاشتراكية

تهتم المجلات البارزة بالبحث فى الفرق بين الشيوعية والاشتراكية وبين الرأسمالية . ولقد نشرت مجلة « بارتيزان » الأمريكية الشهرية عدة بحوث فى مستقبل الاشتراكية لجماعة من الكتاب المعروفين . وكان البحث الأخير الذى اطلعنا عليه هو للكاتب الأمريكى آرثر شلزنجر وهو مدرس للتاريخ فى جامعة هارفرد ، ومؤلف كتاب صدر أخيراً ونال شهرة كبيرة عن عصر جاكسون . وهو يقول إن التجربة السوفييتية قد وضعت الجدل الذى قام منذ قرن حول الرأسمالية والاشتراكية فى ضوء جديد . فقبل الحرب العالمية الأولى كان الذين يحملون على الاشتراكية يتهمونها بعدم الكفاية ؛ والذين يحملون على الرأسمالية يتهمونها بمجافاتها لقواعد الأخلاق . ومعنى هذا أنهم يسلمون بأن الاشتراكية صالحة فى المبدأ ولكنها غير صالحة فى العمل . والرأسمالية صالحة فى العمل ولكنها غير صالحة فى المبدأ ، ونجد بعد الحرب الثانية إتجاهاً نحو عكس هذه الفكرة . فهنالك ميل إلى القول بعدم كفاية الرأسمالية، ولكنها تسوغ لأنها الخط الذى تقوم عليه الحرية والديمقراطية . وهنالك ميل للقول بأن الكفاية فى الادارة الاشتراكية تؤدى بالضرورة إلى طرد الحرية . فأى النظامين أدى إلى أن يصير العامل مجرد آلة ، وقيد من حياة الطبقة العاملة ، وقضى على الحرية الشخصية والسياسية ؟

فى رأى الكاتب أن الكثير من النقد الذى يوجه إلى الاشتراكية والرأسمالية ، هو نقائص ليست قائمة بسبب نظام خاص للملكية بل بسبب النظام الصناعى وما يتبع الحالة الصناعية مهما يكن نظام الملكية . فالصناعة والحكومة هما طرفا الشر الأساسيان . فالكبرياء والجشع ولذة القوة ولذة الإخضاع ، هى الأسباب الأساسية لمتاعب العالم .

فالتنظيم من شأنه أن يضعف المسئولية الأخلاقية للشخص ، وكلما اتسع التنظيم وزاد تعقداً صار أداة

يتخذها الانسان المحافظ على الأخلاق، ليشبع من رغبته الطبيعية فى أن يأتى أعمالا لا تتفق مع الأخلاق .

ولذلك إذا نظرنا من هذه الوجهة، وجدنا أن الدولة الاشتراكية هى أسوأ من الدولة الرأسمالية ، لأنها أكثر سيطرة على مجهودات الفرد ، كما أنها لا حد لها فى قوتها . فالتنظيم مما يفسد الأمور ، والتنظيم الاجماعى مما يفسدها إفساداً إجماعياً . وتسوّغ الدولة الاشتراكية وجودها بحجة أن حصر السلطة ضرورى للخير . ولكنها لم تحل قط هذه المسألة وهى أن تركز السلطة لفعل الخير ، قد يؤدى إلى استعمالها للضرر ؛ لاسيما إذا أريلت جميع المصاعب فى استعمالها . ومما يؤخذ على الاشتراكية السوفييتية بنوع خاص أنها وليدة العنف ، والعنف يولد أحقادا واعتداءات ، تؤدى إلى قلب الأحقاد العادية فى الهيئة الاجتماعية ، إلى ان تتخذ أشكالا مشوهة قبيحة . ومن الصعب ترك عادة العنف لاسيما إذا ظهر نجاحها فى الماضى . فالنخبة التى قامت بالثورة تعتقد دائماً ، اعتقاداً قائماً على التجربة ، أن التخلص من المعارضة أسهل لديها باطلاق النار منه بالمجادلة والاقناع .

ويرى الكاتب أنه لا الشيوعية بما فيها من استعداد ، ولا الرأسمالية بما فيها من عدم ثبات ، ولا الفاشية بما تقتبسه من الاثنتين ، تستطيع أن تجد حلا موفقاً لمشكلة المعيشة فى العالم الصناعى الحديث وفى الدولة الحديثة. فهل هنالك احتمال آخر ؟ وهل هنالك مستقبل لاشتراكية حرة غير شيوعية؟ وإذا بعدنا عن مجال السياسة الحاضر وتياراته ، فان الجواب الذى يبدو لنا هو أنه ما من سبب يحول دون وجود نظام اشتراكى ديمقراطى .

فاذا أريد للاشتراكية أن تحافظ على الديمقراطية فيجب أن تنشأ خطوة فخطوة ، بطريقة لا تقضى على العادات والقانون والثقة المتبادلة ؛ وهى التى تقوم عليها الحقوق الفردية . أى يكون التحول تدريجياً ويكون برلمانيا ، وتحترم فيه الحريات المدنية وما يفرضه القانون. ومثل هذه الاشتراكية بالطريقة التى ذكرت تبدو خيالية فى أعين أولئك المحبين للمواقف المسرحية من أشياع عقيدة لنين . ولكن روى أن ستالين نفسه قد أنبأ هارولد لاسكى حديثاً بأنه يظن أن ذلك مستطاع .

وكان أنصار فكرة الانقلاب الثورى فيما مضى ، يعارضون الفكرة التدريجية ، زاعمين أن الطبقات الحاكمة الرأسمالية تؤثر الالتجاء للعنف على

النزول عن المزايا التى تتمتع بها . ولكن الماركسيين فى هذه المسألة ، كما فعلوا فى مسائل أخرى ، قد غالوا فى الشجاعة السياسية للرأسماليين وفى إرادتهم . والواقع أن التجربة البريطانية تبعث ضوءاً على هذا الموضوع . فالرأسماليون فى تلك الدولة لم يحاولوا الاشتباك فى نضال من أجل حقوقهم . ثم إنه من المستطاع أن تتقدم الولايات المتحدة تدريجياً فى طريق الاشتراكية ، بوضع قوانين على المثال الذى سلكه الرئيس روزفلت . فالاشتراكية إذن يمكن أن تسير سيراً عملياً بتطبيقها تطبيقاً تدريجياً ؛ على أن يكون هذا التقدم التدريجى مما يحفظ النظام والقانون ، ومما يضمن حداً خاصا من الحرية ، فتوجد نظم حقيقية لتحقيق الديمقراطية . ولا يقوم بهذا العمل فى أثناء التحول رجال الطبقة العاملة ، وإنما يقوم به المحامون وأصحاب الأعمال وزعماء العمل والسياسيون ورجال الفكر .

ولكن المسألة ليست من البساطة كما تبدو فى ظاهرها . فهنالك عوامل كثيرة تعترض سبيل هذا التطور . ويمكن مناقشة هذه العوامل تحت ثلاث مسائل : أولها الرغبة فى القضاء على الرأسماليين ، وثانيها خيانة رجال الفكر ، وثالثها الروح المعارضة للثورة فى الاتحاد السوفييتى .

ويناقش الكاتب هذه المسائل الثلاث فيقول : إن الرأسماليين كانوا دائماً أكبر المنظمين للإنتاج ، وكانوا فى هذا العمل أكبر مستغلين للطبقات الفقيرة . ولكن ثقتهم فى أنفسهم وذكاؤهم وإقدامهم تتضاءل باصرار كلما بعدوا عن المصنع أو المصرف . فهم قد أنشأوا نخبة ميزتها المال ولا نخبة تتمتع بمزايا خاصة ؛ فهم ليسوا طبقة حاكمة نافعة فى مجال السياسة ، وهم رجال عمل فى مساوماتهم لا رجال حرب . وهم يبحثون عن السلامة قبل أن يبحثوا عن الشرف . وهم يفكرون بوصف أنهم طبقة لا أمة . ولما كانت قوتهم قائمة على استمرار تبادل قطع من الورق فانهم يخشون كل ما يغير من النظم الاقتصادية التى اصطلح عليها الجماعة . فهذه الطبقة تنقصها الغريزة والنشاط والشجاعة للحكم . ولعل ما حدث فى بريطانيا سنة ١٩٤٠ مما يتخذ مثالا لهذه الحالة . فان تشمبرلن كان يمثل عواطف رجال الأعمال من رغبة فى الهدوء وكراهية للعنف وخوف من الانقلاب الاجتماعى . ولكن غرائز تشرشل تمثل أرستقراطية إمبراطورية شجاعة نشيطة تحتقر التجارة بعض

الشئ ، قوتها لا تقوم على المال بل على الأرض والتقاليد والشعور بالوطنية .

فنرى إذن أن رجال المال محتاجون دائماً إلى حماية طبقات غير طبقتهم ؛ فهم على قول شمبتر « غير قادرين على أن يقودوا أمة فحسب ، بل هم غير قادرين أيضاً على الدفاع عن مصالح طبقتهم . ويمكن إجمال هذا بالقول إنهم يحتاجون إلى رئيس » . وفى انجلترا على الأقل رأينا طبقة المال تسلم أمورها إلى حكومة أرستقراطية كالحكومة السابقة ، أو حكومة عمال كالحكومة الحاضرة مما يدل على أن هذه الطبقة عاجزة عن القيام بالحكم .

وفيما يتعلق برجال الفكر فان هؤلاء ينادون دائماً بالحرية ، ولكنهم لايعملون شيئاً . فهم فى الواقع يجرون وراء أحلام غير محققة ، وهم بذلك يفقدون وضوحهم ومنطقهم واصرارهم على وقائع الأمور . وقد أخذ رجال الفكر يزيدون انغماساً فيما يثبت أساطيرهم وبذلك لم يجعلوا من طبقتهم من يتولى الزعامة .

فاذا قلنا إن عدم رغبة الرأسماليين فى الحياة وخيانة رجال الفكر ، مما يقف عقبة فى طريق الانتقال إلى الاشتراكية انتقالا هادئاً ، فان هنالك عقبة حقيقية يبدو فيها العزم والاصرار والذكاء ، وهى الدور الذى يقوم به الاتحاد السوفييتى . فهذا الاتحاد يرى بوضوح أن الرجعيين ليسوا هم ألد أعداء الشيوعية ، لأن طيش هؤلاء هو الذى سيؤدى إلى انحلال جماعتهم . ولكن العدو الحقيقى هو الديمقراطى الأصيل الذى يعمل لحل مشاكل العطلة بين العمال ومشاكل الفقر ، دون أن يستعبد الطبقات الفقيرة ودون أن يقيم حكومة يجعل منها شرطة على الناس .

فكانت موسكو تعرف أن بريطانيا لا تنافسها فى النضال من أجل أوربا مادام تشرشل متولياً زمام السلطة . ولكن انتصار حزب العمال فى سنة ١٩٤٥ مما بعث الأمل فى جميع شعوب أوربا الذين كانوا لايزالون أحراراً فى التعبير السياسى . فكأن فى هذا الحكم القائم فى انجلترا وسيلة للحصول على المزايا الاقتصادية التى توجد فى روسيا ، مع مزية الحرية السياسية . ولذلك أخذت روسيا توجه هجوماً كبيراً على الأحزاب الاشتراكية ، ووضعت سياسة من شأنها الضرب على النقط الضعيفة الاستراتيجية والمثالية للامبراطورية البريطانية الآخذة فى الانهيار .

فما هى أغراض الحملة السوفييتية على الغرب ؟ لقد صدق شمبتر حين

قال : « إن الصعوبة فى روسيا ليست ناشئة من أنها اشتراكية بل من أنها روسيا . » فلو أن روسيا كانت تحت حكم القياصرة وعملت على تقدم الصناعة كما هى الآن ، لكانت تعمل للاتساع كما تعمل روسيا السوفييتية . ولكنها تكون عاجزة عن مضاعفة قوتها الوطنية بالسلاح السياسى الهائل وهو الشيوعية .

هذا هو الفارق . فروسيا القيصرية كان يمكن معالجتها كألمانيا الامبراطورية ، إذ تكون أغراضها محدودة بمقاومة الأمم الأخرى. ولكن النازية أمدت ألمانيا بسلاح مثالى قوى . والشيوعية أقوى كثيراً من النازية ؛ إذ أن فكرتها قابلة للتصدير . فباعتبار أنها عقيدة اجتماعية، يمكن أن تنفذ إلى أبعد ركن من أركان العالم ، وتجد أنصاراً حيثما وجد الظلم وانتشرت الفاقة .

فالأغراض الوطنية لروسيا محدودة ؛ ولكن الأغراض الدولية للشيوعية غير محدودة .

فما هو واجب الولايات المتحدة الآن أمام هذا الخطر ؟ إن أمامها مثالا لما يجب ألا يتبع ، فى سياسة بريطانيا التى سار عليها تشمبرلن عندما رأى تهديد ألمانيا لبلاده ، وهى حملة الاسترضاء . فالولايات المتحدة اليوم فى مثل ذلك الموقف تماماً ؛ على أن فى موقعها الجغرافى ما يسوغ أن تكون أكثر احتمالا لروسيا من بريطانيا بالقياس إلى ألمانيا فى ذلك الزمن . فالمشكلة التى يجب أن تعمل الولايات المتحدة لحلها هى أن تنظم توازن القوى فى العالم بحيث إذا عرضت قيادة السوفييت العامة فى أية لحظة مسألة الحرب على بساط البحث ، اضطرت إلى أن تقرر عدم الالتجاء إليها ؛ لأن الحرب العامة فيها مغامرة حربية كبرى لبلادها . وفى الوقت ذاته يجب ألا تتأثر الولايات المتحدة برغبة البعض فى القيام بحرب على السوفييت ؛ وألا تسمح للرجعيين فى الدول القائمة بين هاتين الدولتين الهامتين الكبيرتين باذكاء نار الحرب دفاعاً عن امتيازاتهم ؛ ولتذكر أن الفاشية قد اختفت ولكنها لم تمت نهائيا .

ويجب على الولايات المتحدة أن تمسك الميزان بين الاستعداد الكامل لدفع أى هجوم سوفييتى بعد حد خاص ، وبين العزم الكامل بألا تسمح داخل هذا الحد برغبات عدائية نحو السوفييت . فسنرى أنه إذا ترك الوقت للاتحاد السوفييتى ، فلابد أن تهدأ حدته

معهـــد دولى للمسرح

نشرت مجلة المسرح والفنـــون الأمريكية فى عدد يوليه ما يأتى :

اجتمع بباريس فى الأسبوع الأخير من شهر يوليه ، خبراء المسرح من جميع الأمم ، للنظر فى إنشاء معهـــد دولى للمسرح . وهذه الخطوة الموفقة الهامة فى عالم المسرح ، قد تمت بنـــاء على مقترحات التعاون الثقافى الدولى لهيئة الأمم المتحدة فى الصيف الماضى ، حين بذل المندوبون الانجليز والكنديون مجهوداً أدى إلى اعتبار المسرح جزءاً من برنامج الفنون والآداب وصار على قدم المساواة بالموسيقى والآداب والفنون الجميلة . ولما كانت بعض الأمم لم توقع على ميثاق التعاون الثقافى لهيئة الأمم المتحده ، فقد تقرر أن خير الوسائل هو إنشاء معهد دولى للمسرح ، تشرف بوساطته هيئة دولية حقا على المسرح . ويبدأ هذا المعهد نشاطه بعد انتهـــاء اجتماعات باريس ، وسيكون برياسة اثنين هما مستر بريستلى ومسيو لوى جوفيه .

ولقد مثل المسرح الأمريكى رسميا بمندوبين وبعض الملاحظين ، كما فعلت الدول الأخرى . وكان المندوبان اللذان دعاهما مستر جوليان هاكسلى ومستر بريستلى ومسيو جوفيه ، هما ليليان هلمان التى مثلت رواياتها فى جميع أنحاء العالم مما جعلتها شخصية دولية هامة ، وروزموند جلدر وهى المندوبة التى عينها المسرح الوطنى الأمريكى والأكاديمية الأمريكية ، وهى تعمل سكرتيرة للأكاديمية ورئيسة لتحرير مجلة المسرح ، وهى المجلة التى ظلت تخدم فكرة المسرح الدولى فى الثلاثين سنة الأخيرة . وقد عهد إلى المندوبين أن يعملا لتأليف جمعية عالمية بين رجال المسرح من فنانين وصناع ، تكون قادرة على وضع برنامج إنشائى ثابت يؤدى إلى زيادة التفاهم العالمى .